الملتقى الدولي: الإساءة إلى المقدسات الإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية 29/28 ديسمبر 2021

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر

المقدس في الاسلام (دراسة تحليلية عند الصوفية)

The Sacred in Islam (An Analytical Study of Sufism)

بودالي بن عون [1] *، شتاتحة أم الخير [2]

[1] جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر
b.benaoun@lagh-univ.dz

[2] مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، الجزائر
oumelkheirchetatha@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/04/08 تاريخ القبول: 2022/09/15 تاريخ: النشر: 2022/10/01

الملخص:

تهدف دراستنا إلى تحليل معاني مفهوم المقدس عند أهل الصوفية من منظور إسلامي، وتعميق الفهم لكلمة المقدس من خلال بعدين هما: المقدس في المكان والمقدس في الزمن، وتتجلى هذه الأبعاد في قدسية المكان والزمان عند الصوفية وروابطها العلائقية بتعاليم الدين الإسلامي، حتى نسلط الضوء وننزع اللبس عن المفاهيم الخاطئة التي لا تفرق بين ما هو جوهري من منظور التشريع الإسلامي عند العلماء، وما هو بدعي عند عامة الناس، والتي سنحاول فيها أن نستعمل المنهج التحليلي النقدي للفكر الصوفي لمفهوم المقدس.

الكلمات المفتاحية: المقدس، الصوفية، المكان، الزمان، الاسلام.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Our study aims to analyze the meanings of the concept of the sacred according to the people of Sufism from an Islamic perspective, and to deepen the understanding of the word sacred through two dimensions: the sacred in place and the sacred in time. About the misconceptions that do not differentiate between what is essential from the perspective of Islamic legislation according to scholars, and what is innovated by the common people, in which we will try to use the critical analytical approach of Sufi thought for the concept of the sacred.

Keywords: **the sacred, Sufism, place, time, Islam.**

مقدمة:

تعد جدلية مفهوم المقدس عند الصوفية محورا رئيسيا لفهم المقدسات الإسلامية من حيث الزمان والمكان والجانب الروحي لهما، ولقد تميز أهل الصوفية في مقدساتهم بالآداب والورع والزهد والخوف من الله وهي من الأخلاق السامية والحميدة في الدين الإسلامي، وكان يغلب على المتصوفة جوانب عديدة من المقدسات الإسلامية منها العبادة والخلوة مع التزامهم بآداب الشريعة واحترامهم لأماكن مقدسة كالبيت الحرام، واحتفالاتهم بالمولد النبوي الشريف كأزمنة مقدسة يتم الاحتفال بها كل سنة، واحترامهم للأنبياء والرسل. ولتعميق الفهم أكثر لمفهوم المقدس من خلال بعدين هما: المقدس في المكان والمقدس في الزمن، وتتجلى هذه الأبعاد في قدسية المكان والزمان عند الصوفية وروابطها العلائقية بتعاليم الدين الإسلامي، حيث "يُعدُّ المقدس مصدر الحياة ومدخل الموت، والمصدر الذي يستمدُّ منه الإنسان طاقته. ويُعبرُ المقدس عن نفسه في أشكال

مختلفة، من قبيل القربان والعبادات، والطقوس التعبديَّة بشتى أنواعها، وحتى الأسماء والأماكن والأشياء".[1] وهي صفات حميدة يتمتع بها أهل الصوفية.

1. إشكالية الدراسة:

لقد تباينت التأويلات وتضاربت المفاهيم حول المعنى الحقيقي لمفهوم المقدس في كل ديانات العالم، حيث نجد معنى المقدس عند أهل الصوفية في الإسلام على أنه ينطوي في البعد الأول وهو البعد المكاني الذي هو أعلى مكان في العالم وهو الكعبة المشرفة التي تطوف بها البشرية ولأن نجم القطب المقابل لها في مركز السماء وهي كعبة مقابلة تطوف بها الملائكة، وهذا أول مكان مقدس في الإسلام، ويشير معنى المقدس المادي إلى الأماكن المقدسة، كالمسجد الحرام، تليها أماكن كثيرة في العالم الاسلامي مقدسة كالمساجد، وعند المتصوفة أماكن مباركة تحمل قدسية المكان وهي مقابر الأنبياء، كقبر الرسول مُحَمَّد ﷺ وقبور أولياء الله الصالحين، وغيرها من الأماكن المقدسة، والتي تركت جدلية قدسية المكان بين ما هو مقدس وما هو مبتدع عند الكثير من الناس واختلطت لديهم مفاهيم ومعاني المقدس والبدعة، أما البعد الثاني وهو البعد الزماني وهي أزمنة كثيرة ومتعددة مقدسة كالأشهر الحرم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة ومحرم، لقوله تعالى :{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } [التوبة: 36]، وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي نزلت في حق الأشهر الحرم لقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } [البقرة: 217]، والمتصوفة يقدسون الكثير من الأوقات والأزمنة المقدسة كالمولد النبوي الشريف الذي يعتبر زمنا مباركا، وهي كذلك تركت جدلية قدسية الزمان بين ما هو زمن مقدس وما هو ابتداع عند الكثير من الناس. ومما لا شك فيه أن القارئ لما سبق من الفقرات يستنبط بأن الصوفية تضيف أماكن وأوقات مقدسة، وهذا لقوة حبهم وارتباطهم الروحي لقدسية المكان والزمان في التشريع الإسلامي كحرمة مكان قبر النبي ﷺ التي تشع منه الأنوار. وكمكان مقدس وكحرمة يوم مولد المصطفى ﷺ، حيث "ارتبطت الممارسة الصوفية منذ نشأتها كممارسة فردية تأملية، مرورا بتحولها إلى نظرية فلسفية اتخذت الشكل الحركي المنظم بالجدال والنقاش حول مفهوم التصوف

وتأويله، كمصطلح مشتق من الصوف الذي يرتديه الممارسون حتى صار علامة مميزة لهم، أو من الصفة، وهي مكان خاص أقيم خلف المسجد النبوي بالمدينة لفقراء المسلمين الذين لا مأوى لهم ولا دار يقيمون فيه، أو إلى الصفي من الصفاء الروحي والنفسي لرجال التصوف"[2] وهي الفئة التي تحاول التقرب إلى الله عز وجل من خلال تقديس المكان والزمان وتفضيل الجانب الروحي عن الجانب المادي المجرد، ومن خلال ما تم بناؤه في هذه الإشكالية سنحاول الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما هو مفهوم المقدس في الإسلام عند الصوفية ؟
- ما هو مفهوم المكان المقدس والزمان المقدس في الإسلام عند الصوفية ؟

وللإجابة على هذه الاسئلة ارتأينا أن نتكلم عن مفهوم المقدس في الإسلام والمقدس المكاني والزماني ومفهوم الصوفية، ثم الانتقال إلى الجدلية للمقدس في الإسلام عند الصوفية لكي تعطي لنا تحليلا وتفسيرا لأسئلتنا السابقة.

2. مفهوم المقدس :

تباينت مفاهيم المقدس منذ الديانات القديمة، والتي كانت مرتبطة بالكهنة ورجال الدين عند اليهود والنصارى والكهنة، وهو مفهوم قديم جديد ليومنا هذا يستعمل عند المسلمين كمفهوم الحرام وهو مصدر للحياة الذي يستمدُّ منه الإنسان طاقته عند العبادات، حيث يُشير الأصل اللاتيني لكلمة المقدس إلى ما ينتمي إلى مجال الآلهة والدين بصفة عامة " وتأخذ كلمة "Sacer" في اللغة اللاتينيَّة معنى المقدس، وتساوي جانباً؛ أي الجانب الذي قدم لنا الكهنوت، وهي وظيفة الكاهن. وفي اللغة العربيَّة، نجد كلمة حَرام "Harram" قد تمت ترجمتها بالمقدس "Sacré"، غير أنَّ كلمة حَرام في اللغة العربيَّة حمَّالة وجهين؛ فهي من جهة أولى تدل على الشيء المحظور، أي شيء ممنوع فعله، ولا يحلُّ انتهاكه، والعكس من ذلك، نجد كلمة حلال التي تعني كل ما هو مسوّغ ومسموح به."[3] لذا نجد كلمة المقدس مفهوم ديني محض، فهناك الكثير من المفكرين ورجال الدين الذين أعطوا تفسيرا لمفهوم المقدس وتباينت آراءهم حيث يقرُّ بول ريكور" بأنَّ المقدس قديم

ولكنَّ مع ذلك، فإنَّه ينتمي إلى عالم اليوم، وإن كان زمنيّاً قديماً، فهو حديث من حيث اعتباره موضوعاً للبحث والدراسة"[4]، وهذا نظرا لأهمية انتشاره كمفهوم ديني تطور بتطور الحياة الاجتماعية فهو " يُعدُّ مصدر الحياة، ومدخل الموت، والمصدر الذي يستمدُّ منه الإنسان طاقته. ويُعبرُ المقدس عن نفسه في أشكال مختلفة، من قبيل القربان والعبادات، والطقوس التعبديَّة بشتى أنواعها، وحتى الأسماء والأماكن والأشياء، بيد أنَّ المقدس يتغذى على الغموض والإبهام والتواري ويُبهر ويُخيف. كما يُقرر ما هو ظاهر وما هو مسوّغ، وما هو محظور، وما هو من الناحيَّة الدنيويَّة خير، وما هو شر، وما هو مقدس، وما هو مدنس. إنَّ المقدس يُولد الهدايا، والمقصود هنا هو القربان المقدس الذي يتقرب به الإنسان إلى الله من ذبيحة وغيرها من التضحيَّات، كما أنَّه يستجيب للحاجات الماسَّة للوجود الإنساني، وكذا للمشاعر التي تختلج الإنسان من حين لآخر. غير أنَّ هذه المشاعر الغامضة والمخيفة التي تجد أصلها وقوتها في اللاوعي الفردي والجماعي تواجه القلق الوجودي الذي تثيره صُروف الدَّهر، والتي تراود الإنسان من كل حدبٍ وصوب."[5]، هنا نجد بأن قيمة المقدس ثمينة عند أهل الدين عامة وعند أهل الصوفية خاصة حيث يقدم للشيء المقدس سواء أكان شخص معنوي أو كينونة عن المكان أو الزمان كمقدسات يمارسها الانسان ويعبر عنها بالسلوكيات للتقرب إلى الله من التضحيَّات ذات طابع روحي وليس مادي، فالاختلافات الفلسفية لمصطلح المقدس جعلت الكثير من المفكرين يحاولون تفكيكها وتركيبها لتعطي المعنى الحقيقي لواقع مفهوم المقدس الممارس عبر الديانات " فاقترح ميرسيا إلياد مصطلح "Hiérophanie"، وهو مصطلح مركب من كلمتين يونانيتين هما: "Hiéros" التي تحمل معنى المقدس و"Phaneia" التي تعني ظهر، ومن هنا يأخذ المقدس معنى الظهور؛ فالمقدس إذن هو ما يظهر ويتبدى لنا، وما يتجلى من خلال بعض الأشياء، من قبيل الكنيسة، والمعبد والطقوس."[6] وهنا نجد بأن مفهوم المقدس في النهاية قد اتفق عليه الكثير من المفكرين على أنه مفهوم سلوكي مرتبط بالدين وبالزمان والمكان والأشخاص.

3. المفهوم الإسلامي للمقدس:

ان المفهوم الإسلامي للمقدس لا يختلف كثيرا عن مفاهيم الديانات السابقة كالديانة اليهودية والنصرانية، الا أن هناك إضافات لمعاني المقدس في أصل الدين الإسلامي والمتفق عليها أنها حرام والمحرمات في الاسلام مقدسة لقوله تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: 217]، ولقوله تعالى : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: 12]، وكذلك لقوله تعالى: { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ } [البقرة: 30]، أي نطهر الأشياء ارتساما لك. وقيل: نقدسك، أي: نصفك بالتقديس، وكذلك لقوله تعالى : {وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}[البقرة: 87]، وكذلك لقوله تعالى : { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } [المائدة: 21]، وكذلك لقوله تعالى : { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} [الحشر: 23]، والكثير من الآيات التي تتحدث عن مفهوم المقدس كما أنها " تشير إلى الأماكن المقدسة، من قبيل المسجد الحرام (البلد الحرام الذي فيه الكعبة)، وكذا البيت الحرام (الكعبة المشرفة)، كما يشير أيضاً، إلى الأشياء والأسماء المقدسة، على سبيل المثال لا الحصر، الشهر الحرام"[7]، وهي مختلفة في التقديس من حيث الألوهية والمكان والزمان والأشخاص، " ويُقرُّ روجي كايوا "Roger Caillois" بأنَّ المقدس ليس خاصيَّة من خصائص الإنسان، ينفرد ويتميز بها عن غيره من الكائنات، وإنَّما هو قيمة تنضاف للإنسان، أي تأتي من الخارج ويتم إسقاطها عليه. وقد تتعلق تلك الإضافة، إمَّا بأدوات (وسائل العبادة) أو بأشخاص (ملك، كاهن، نبي...)، أو بأزمنة (أشهر وأعياد ومواسم)، أو بأمكنة (أماكن الحج والعبادة)"[8]، لذا نجد مفهوم المقدس في الإسلام هي الأشياء المحرمة والمتفق عليها أن لا تتجاوز حدودها نابعة من التشريع الاسلامي.

4. المفهوم الإسلامي للمكان المقدس:

المقدس المكاني في الإسلام له أهمية كبيرة مثل مكان الكعبة المشرفة التي يحج إليها الحجاج المسلمون كل سنة من كل بقاع العالم، وهو مكان مقدس للمسلمين نزلت فيه آيات قرآنية لقوله تعالى : { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ

وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [الحج: 26]، وكذلك لقوله تعالى : { وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } [الحج: 27]، كما أكد القران الكريم على قدسية المكان لقوله تعالى : { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: 12]، وهي تعتبر من الأماكن المقدسة التي لها حرمة كبيرة "كأماكن الحج والعبادة "[9] لقوله تعالى : { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } [المائدة: 21]، هذه دلائل على حرمة المكان وقدسيته في الإسلام، وهناك الكثير من الأماكن المقدسة عند الصوفية كقبر النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

5. المفهوم الاسلامي للزمن المقدس:

إن الزمن المقدس في الإسلام متعدد منها الشهر الحرام وهو رمضان الكريم زمن دوري في كل سنة، لقوله تعالى: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة: 217] ومنها مواقيت وأزمنة متعددة وكثيرة في الإسلام منها الأعياد والمواسم الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وأول محرم وغيرها من "وسائل العبادة بأزمنة أشهر وأعياد ومواسم "[10]، كما أنزلت آيات كريمات في حق روح القدس، لقوله تعالى : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النمل: 102]، لها آيات قرآنية تدل على حرمة بعض الأوقات والأزمنة، ومن الأزمنى التي تقدسها أهل الصوفية بشكل خاص موعد المولد النبوي الشريف.

6. المفهوم الإسلامي للشخص المقدس:

لقد رفع الإسلام مكانة الأنبياء والرسل وأيدهم بنصره، ورفع مكانة الرسول ﷺ وحرمته، وحرم الزواج من زوجات النبي، وأيد سيدنا عيسى ابن مريم بروح القدس لقوله تعالى:{ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [البقرة: 87]، وكذلك من "وسائل العبادة بأشخاص كالملك، كاهن، نبي... ، "[11]، هذه المكانة للأنبياء والرسل مقدسة عند أهل الدين وخاصة أهل الصوفية الذين يحترمون النبي مُحَمَّد ﷺ ويقدسونه ويحبونه أشد الحب مع أولياء الله الصالحين.

7. مفهوم الصوفية :

لقد تعددت المفاهيم والمعاني عن كلمة الصوفية، منها "أن يكون لفظ التّصوفّ مشتقا من اسمَ علم صوفة، وهو رجل كان قد انفرد بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام واسمه الغوث بن مر، وهذا قال به ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس"[12] ، كما أن بعضهم يقولّ بأن صوفة هو اسم قبيلة اشتهرت بخدمة بيت الله الحرام والتفرغ للعبادة. كما " يمكن للمقدس أن يُساعد الإنسان على الانفصال عن العالم الخارجي والارتقاء روحيّاً، ومن ثم الاتصال بواقعٍ من نظامٍ آخر أي بنظام الاخرة غير المرئي والمتواري"[13]، كما حاول البعض الآخر من المفكرين القدامى من النصارى أن يعطوا مفهوما آخر للصوفية، "وهو النّسبة إلى سوفيا اليونانية والتي تعني الحكمة، وهذا قال به كثير من المستشرقين أمثال جوزيف فون هامر، ومن العرب المعاصرين ودليلهمّ أن كلمة تصوف ليس لها اشتقاق ولا قياس من حيث العربية فهي إذا كلمةٌ وافدة على البيئة العربية دخلت الحقل الدلالي للعربية إبّان الفتوحات الإسلامية واختلاط المجتمع الإسلامي بغيره من الشعوب على غرار كثير من المصطلحات والألفاظ، غيرّ أن هذا الكلام يستغرب من المفكرين والمؤرخين العرب الذين لا يزالون يعيشون في عقدة أن الغرب مصدر المعارف والعلوم وهم ذا يؤخرون ما سبق إليه العرب والمسلون دوما، وهذا لا يخفي الخلفيات الأيديولوجية التي ينتمي إليها هؤلاء، ولا نجد في هذا السياق أفضل من ردّ الدكتور زكي مبارك الذي أورده الشيخ عبد الحليم محمود في كتابه قضية التّصوف والذي عبر عنه بأنهّ رد في قوة ومنطق سليم، ومفادهّ أن العرب مولعون بحفظ ما يدخل لغتهم من الألفاظ الأجنبية ولوكان التّصوف من سوفياّ لنصوا عليه في كثير من المؤلّفات والمراسلات ويتساءل زكي مبارك ساخراً: من الذي يمنع أن تكون سوفيا بمعنى الحكمةّ الروحانية جاءت من كلمة صوف وهي قديمة في العربية "[14]، لذى نجد أن مفهوم الصوفية تتفق عليه رجالات الدين سواء النصرانية أو اليهودية أو الإسلام .

8. الخلفية النظرية للمقدس عند الصوفية :

إن الخلفية النظرية للمقدس الزماني والمكاني عند أهل الصوفية تكلم عليها الكثيرين من العلماء والمفكرين وسنحاول أن نتطرق لبعض المفكرين الكلاسيكيين في علم الاجتماع الذين تكلموا عن التصوف من وجهة نظر دينية التي لها علاقة مباشرة بالمجتمعات نذكر منهم:

1.8 مفهوم المقدس الزماني والمكاني عند ابن خلدون:

لقد حاول المفكر والفيلسوف الكبير ابن خلدون أن يتكلم عن الخلفية النظرية للمقدس الزماني والمكاني عند أهل الصوفية "وهذا فيماّ يخص بعض آرائه في التّصوف بصفة عامة والتي اقتبسناها من كتابيه المقدمة والشفاء، لكن ما يهمنا أيضا في المقاربة النظرية رأيه الذي تغير بعد استقراراه في مصر ومخالطته للّصوفية، إذ تبين له البون الشاسع بين من استسلموا للشطحات، وبين من فتشوا عن الله في التواضع والنّسك وإماتة الشهوات، هذا ما جعله يتساءل كيف؟ ولماذا بدا عند الرعيل الأول حرقة ثم كيف انتهى خرقة، أيّ مجرد لبس للخرقةّ الصوفية أو مرقعة الدراويش ،"[15] " وقدم تحليلا نقديا للتّصوف وعلاقته بالشرع، حيث حدد أن هذه المعرفة وجدانية جوانية، ومن ثمّ فإن الإنسان لكي يصدق فيها ينبغي أن تحصل له مثل هذه الأذواق الوجدانية، وأنها تقوم على فهمه الفلسفي للّغة، فاللّغة عنده وضعية اصطلاحية إذ لا يوجدّ أي إمكان للتعبير اللغوي عن المعرفة الصوفية، وهو برفضه استخدام المجاز اللغوي لا يجيز لهم أسلوبّ الرمزية في التعبير عن كشوفاتهم."[16] ، حيث حدد المكان والزمان المقدسين ضمنيا في مفهوم المقدس عند الصوفية بحكم مخالطته لهم .

2.8 مفهوم المقدس الزماني والمكاني عند دوركايم:

إن المفكر السوسيولوجي دوركايم حاول أن يعطي خلفية نظرية للمقدس في الزمان والمكان عند الصوفية حيث " سلط الضوء على أهمية الأفكار والتّصورات النظرية في دور الممارسات الشعائرية في حشد مشاعر النّاس في جوانب الحياة النفسية، الاجتماعية، الدينية والسياسية فالمعتقداتّ الدينية في نظره تحمل أيضا معارضة دنيوية قد تظهر في إطار الحياة المدنية أو خارجها وتنعكس من خلال النّضال الفعال ضد الأوضاع الحالية أو من خلال مواقف جماعية أو فردية كالانعزال عن النّاس عند الصوفية، وبالتالي فالمؤمن في نظره هو الذي اتحد مع ربه، إنه ليس مجرد إنسان يرى حقائق يجهلها غير المؤمن، بل هو إنسان ذو قدرة أكبر على التّصرف، فالمؤمن يشعر بمزيد من الطاقة لتحمل مشاق الحياة أو قهرها، كما لو أنه يسمو فوق البؤس البشري لأنه يسمو فوق وضعه كإنسان، في حال نفسه مخلصا من الشر مهما كان مفهومه للشر، إن العامل الأول في

أي إيمان هو الاعتقاد بالخلاص من خلال إيمان "[17] وهذا ما يدل على أن دوركايم جسد المكان والزمان لأهل الصوفية بوصفه لهم بأنهم خلال مواقفهم الجماعية أو الفردية كالانعزال عن النّاس في زمن ما وفي مكان ما يحدد مدى أهمية الوقت والمكان المنعزل للتمتع بالجانب الروحي والابتعاد عن الجانب المادي.

3.8 مفهوم المقدس الزماني والمكاني عند كارل ماركس:

لقد كان المفكر كارل ماركس من بين الرواد الأوائل الذي تكلم عن أصل الدين قبل الصوفية والزمن والمكان للمقدسات، ووصفها بالمستعملة والمستغلة، امتطى عليها رجالات السياسة والحكام والاقتصاد والمال للتأثير على الواقع الاجتماعي، وتوجبه الوعي لهم في مصلحة السياسة والحكم وعلى قيم أهل الصوفية في كل مكان وزمان حتى وصفها من بعده أن الدين هو أفيون الشعوب لأن " خلفية ماركس يرى من خلالها أن الواقع الاجتماعي يؤثر على الوعي الاجتماعي، وليس العكس، وأن تأثير السياسة والاقتصاد والمال في القيم الدينية للصوفية والتي تبتعد من خلالها عن الجانبّ الروحي والأخلاقي، وبالتالي يظهر هناك التّصوف المصلحي والمادي، أو التصوف بدافع التبرير للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن نظريته تصلح تبريرا لما نلمسه من عملية استغلال للجانب المعتدل في التّصوف وفكره السوي، وهذا من أجل تحريف مفهوم الصوفية ، لذا حاول ماركس تحليل علاقة الدين بما فيها المتصوفة بالعقد الاجتماعي والوعي المجتمعي اخترق من طرف الساسة وأصحاب المال والاعمال والاقتصاد والحكام ليخدم مصالحهم العليا فقط.

4.8 مفهوم المقدس الزماني والمكاني عند ماكس فيبر:

لقد حاول ماكس فيبر أن يسلط الضوء على العلاقة بين أصل الدين بما فيه من أهل الصوفية إلى الربط الوثيق بين الدبن والاقتصاد ، حيث "يشير إلىّ أن العواملّ الدينيةّ الروحية هي التي تؤثّر في الأنشطة الاقتصادية من حيث تحديد مسارات الإنتاجية ورسم أهدافها وخططها، وهذا الطرح يعاكس نظرة كارل ماركس، ويتجلّى هذا جليّا في كتابه الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية الذي نقض فيه الفكر الماركسي تجاهّ الدين بحيث يرىّ أن النّظم العقائديةّ الدينية وفّرت الإطار الثقافي المدعّمة لتطويرّ المؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل الاقتصاد، كان هذا بعد دراسة

واسعة النّطاق حول الأديان في جميع أنحاء العالم وبالتاليّ توصل إلى تأثير المسيحية على التّفكير والثّقافة الغربية"[18] وهذا يبرر مفهومه للدين ولأهل الصوفية بأنهم هم من ساهموا وبشكل كبير في تطور الرأسمالية في أوروبا، ويرجع الفضل الكبير لأهل الدين والمتصوفة في فهم عقلاني للدين وللمجتمع، وحدد مفاهيم خاصة للصوفية بأن الله يحب المال وأهل الصوفية يحبون الزهد وعدم التبذير للمال وهو ما يعني حب المال كما يحبه الله حسب اعتقاده.

5.8 مفهوم المقدس الزماني والمكاني عند كليفورد غيرتز:

لقد حاول غيرتز أن يؤكد وضع الدين في سباقه الاجتماعي لكي لا يخلو من مقدساته حيث "يؤّكد الطرح القيبري الذي يرى أنّه لا تستقيم دراسة القيم الدينية سوى بتناولها ضمن النسقّ الديني التي تشكل جزءًا منه، بالإضافة إلىّ السياق الاجتماعي التي تندرج داخله، حيث قام كل من الأنثروبولوجيين على دراسة الإسلام بالمجتمعات المغاربية في سياق التغير الاجتماعي، بمعنى وضعه داخل سياقه التاريخي وهذا ما طبقه غيرتز باعتماده في دراساته الأنثروبولوجية حول الإسلام في كل من المغرب وأندونيسيا على المعطيات الميدانية والتاريخية، بحيث يرى أن الحياة الدينية لمجتمع ما ينبغي أن تبدأ من تحليل أنساق الدلالة التي يستعملها الفرد داخل الحياة الاجتماعية.[19] لذا يرى بأن مفهوم المقدس في المجتمعات يخدم الحياة الاقتصادية للمجتمع.

9. الجدلية التحليلية للمقدس عند الصوفية :

إن جدلية مفهوم المقدس عند أهل الصوفية أخذت تطورات عالمية في كل الأديان وبالخصوص عند المسلمين، والتي أخذت اتجاهين: الاتجاه الأول للفئة الأولى وكيف تنظر لمفهوم المقدس عند الصوفية ؟ على أنهم ينظرون إلى الأمور المقدسة سواء أكانت شخصية دينية أو من حيث الاماكن والمواقع المقدسة أو من حيث تاريخها أو زمن وقوع الحدث الديني أو معالم دينية ، كلها اوليت باحترام خاص كالمواقع المقدسة من حيث مكانها وزمانها، والتي تجعل من الصوفي المتصوف يقدس الامور الدينية في سلوكياته اليومية المفروضة عليه من التدين الإضافي من عبادة وخلوة وانعزال، والتي تجعله ينفصل عن العالم الاجتماعي من حوله والارتقاء روحيّاً، والابتعاد أكثر عن الجوانب الدنياوية

والمادية والاهتمام بالذكر وقراءة القرآن وتعليمه والتي تؤدي به الى للاتصال بواقعٍ من نظامٍ آخر روحاني يتقرب به أكثر من الله عز وجل. "كما يمكن للمقدس أن يُساعد الإنسان على الانفصال عن العالم الخارجي والارتقاء روحيّاً، ومن ثم الاتصال بواقعٍ من نظامٍ آخر، أي بالنظام الأخروي غير المرئي والمتواري"[20].فتميز أصحاب المتصوفة والصوفيون بالورع والزهد والخوف من الله والآداب من الاخلاق الحميدة المستمدة من الشريعة. " وكان يغلب على أصحابها جانب العبادة والبعد عن الناس، مع التزامهم بآداب الشريعة، وقد يغلب على بعضهم الخوف الشديد والبكاء المستمر، وكان من هؤلاء في المدينة: عامر بن عبد الله بن الزبير، الذي كان يواصل في صومه ثلاثاً ويقول له والده: رأيت أبا بكر وعمر ولم يكونا هكذا."[21] وهو ما تجلى في مشايخ الزوايا وحفظة القرآن الكريم وهي أشياء مقدسة مكانيا وزمانيا. والاتجاه الثاني للفئة كيف ينظرون لمفهوم المقدس عند الصوفية ؟ في الحقيقة هو اتجاه معاكس حيث نظرتهم لفهم المقدس عند أهل الصوفية لقولهم بأن مفهوم المقدس للمتصوفة مر بمراحل متعددة عبر الزمن حيث بدأ التقديس بالزهد والزهاد في البصرة وأمثالها من أمصار المسلمين، ثم تحول تدريجيا إلى مقدسات للطرق الصوفية لكل منها معالمها المتميزة من حيث الزمان والمكان والافراد، ومن ثم صارت تنحرف مقدساتهم عن الإسلام وتعاليمه. حيث استشهدوا بكلام شيخ الاسلام ابن تيمية وابن خلدون حيث قال: "إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك"[22] وهذا ما يوحي عندهم بأن مفهوم الصوفية والمقدس لديهم يعتبر من البدع المستحدثة، وهذا ما خلق جدالا واسعا في صفوف العلماء وأهل الدين في الفهم الحقيقي لمفهوم المقدس عند أهل الصوفية. وكذلك استندوا الى ما قاله مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحليم لقولهم: "ومما استحدث في الصوفية الاستماع إلى القصائد الزهدية مع استعمال الألحان المطربة، وصنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد ولكنها تخلط بين الصحيح وغيره، وتدعو إلى الفقر، وتنقل عن أهل الكتاب، مثل كتب الحارث المحاسبي، وقوت القلوب لأبي طالب المكي والرسالة للقشيري"[23]، وأضافوا لذلك "وربما كان الصوفية صادقين في زهدهم في هذه المرحلة، مع بعدهم عن الدنيا، إلا أن التشدد الذي فرضوه على أنفسهم لم يأمر به الشارع، ويبدو أن هناك تأثيراً للنصارى في تكوين القناعات بتعذيب الجسد كي تصفوا الروح "[24].

من هنا نرى بأن هناك جدلية حادة بين الاتجاهين فيما يخص مفهوم المقدس عند الصوفية وهنا

ينظر الناقد العلمي للاتجاهين بأن هناك إهمال للمقاصد المقدسة وأن مفهوم المقدس عند الصوفية الحقيقيين مستمد من المقدسات الاسلامية، أما مفهوم المقدس عند المحرفين للصوفية والمتشبهين بهم حرفوا مفاهيم المقدس المكاني والزماني وابتعدوا عن الاسس المقدسة واهتموا بالمبدعات مما جعل أصابع الاتهام متجهة نحو الصوفية بحد ذاتها وليس فقط مقدساتهم المكانية والزمانية، وأن الاتجاه الثاني لم يستوعب الحب الشديد للرسول ﷺ والمبالغ فيه من طرف الصوفية، ولكن حبهم لنبيهم أكثر من أنفسهم لا يزيدهم الا تألقا وارتباطا قويا بالدين وليس العكس.

خاتمة:

لقد تميز أهل الصوفية باحترامهم لمفهوم المقدس سواء أكان عبر الزمن أو تاريخيا في أوقات متكررة أو مكانيا أو شخصيات كالأنبياء والرسل، ولقد تميزوا بالورع والزهد والخوف من الله والآداب وهي من الاخلاق الحميدة المستمدة من الشريعة، وكان يغلب على المتصوفة جانب العبادة والخلوة مع التزامهم بآداب الشريعة، واحترامهم للأماكن المقدسة كالبيت الحرام واحتفالاتهم بالمولد النبوي الشريف كأزمنة مقدسة يتم الاحتفال بها كل سنة، واحترامهم للأنبياء والرسل ويغلب عليهم الخوف الشديد والبكاء من شدة خوفهم من الله عز وجل.

الاقتراحات :

- الصرامة في معاقبة المسيئين للمقدسات الدينية والاسلامية بحجة حرية التعبير.
- سن قوانين تجرم خطاب الكراهية للمقدسات الدينية والاسلامية.
- تكثيف من الملتقيات العلمية الدولية لتوعية الناس عن عدم الإساءة إلى المقدسات الدينية والإسلامية بين سياقات حرية التعبير وخطاب الكراهية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المراجع باللغة العربية:

1- إيميل دوركايم ، **الأشكال الأولية للحياة الدينية المنظومة الطوطمية في أستراليا**، ط ،1 ، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2005.

2- اجي حسين جودة، **المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة**، ط ،1،دار الهادي، بيروت لبنان، 2006.

3- خليل شرف الدين، **ابن خلدون**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون عدد الطبعة ،2007.

4- شاخت، بوزورث، تراث الإسلام ، ترجمة حسين مِنس عالم المعرفة، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، الكويت، 1988.

5- ابن خلدون **مقددمة** .

6- مُحَمَّد العبدة، طارق عبد الحليم، **الصوفية، نشأتها وتطورها**، دار الأرقم ، الكويت، 1406هـ.

7- مُحَمَّد العبدة – طارق عبد الحليم، الصوفية.

8- ذهبي، سير **أعلام النبلاء**، (219/5)

9- عبد السلام كمال، **مظاهر حضاريَّة من الثقافة العثمانيَّة**، بروج للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 2017.

10- مُحَمَّد مزوز، **فلسفة الدين بين التجربة الباطنية والتأمل النظري**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2018.

11- عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **تلبيس إبليس**،ط ،2،دار الوطن للنشر، القاهرة، ،2006.

12- عبد الحليم محمود، **قضية التّصوف، المنقذ من الضلال**، ط ،2،دار المعارف، القاهرة، بدون سنة.

13- عبد الرحمن فضلي، " **السوسيولوجيا الكلاسيكية والظاهرة الدينية**"، نموذج اميل دوركايم وماكس فيبر، مجلة اوراق نماء، الكويت، عدد: ،2011 .

14- عبد الغني منديب، "**الأنثروبولوجيا التأويلية والإسلام بالمغرب مقارنة بين غيرتز وإيكلمان**"، مجلة رباط الكتب، الرباط، عدد:،2012 .

المراجع باللغة الاجنبية:

1 -Isabelle Buatois, Le sacré et la représentation de la femme dans le théâtre et de peinture symbolistes, Université de Montréal, Faculté des études supérieures, Département des Littératures se Langue Française, Canada, 2012..

2 -Marcel Bolle De Ball, Le sacré, Janus philosophie et sociologique, Université Libre de Bruxelles, Essachess, Journal For Communication Studies, Vo. 4, 2011.

3- Mircea Eliade, Traité d'histoire des religions, Payot, Paris, 1953.

3- Jeffery Aubin, La religion, et l'opposition sacré et profane, dans les diuinae institutiones de Lactance: les limites d'une dichotomie moderne, érudit, Faculté de théologique et de science religieuses, Université Laval, Québec, Volume 70, Numéro 2, 2014.

الهوامش:

[1] . Marcel Bolle De Ball, Le sacré, Janus philosophie et sociologique, Université Libre de Bruxelles, Essachess, Journal For Communication Studies, Vo. 4, 2011, p. .19

2. شاخت، بوزورث، تراث الإسلام ، ترجمة حسين مِنس عالم المعرفة، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، الكويت، 1988.- ص.ص 87 – 104

3. عبد السلام كمال، مرجع سبق ذكره، ص. 188

[4] . Jeffery Aubin, La religion, et l'opposition sacré et profane, dans les diuinae institutiones de Lactance: les limites d'une dichotomie moderne, érudit, Faculté de théologique et de science religieuses, Université Laval, Québec, Volume 70, Numéro 2, 2014, p. 229

[5] . Marcel Bolle De Ball, ibid, p. 19.

[6] . Mircea Eliade, Traité d'histoire des religions, Payot, Paris, 1953, p. 33

[7]. عبد السلام كمال، مرجع سبق ذكره، ص. 188

[8]. محمد مزوز، فلسفة الدين بين التجربة الباطنية والتأمل النظري، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، بيروت، الطبعة الأولى، 2018، ص. 89.

9. محمد مزوز، نفس المرجع، ص. 89.

10. محمد مزوز، نفس المرجع ، ص. 89.

[11]. محمد مزوز، نفس المرجع ص. 89.

[12]. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تلبيس إبليس،ط ،2، دار الوطن للنشر، القاهرة، ،2006، ص ص : 16

[13] . Isabelle Buatois, Le sacré et la représentation de la femme dans le théâtre et de peinture symbolistes, Université de Montréal, Faculté des études supérieures, Département des Littératures se Langue Française, Canada, 2012, p. 4

[14]. عبد الحليم محمود، قضية التّصوف، المنقذ من الضلال، ط ،2، دار المعارف، القاهرة، ص:3

[15]. خليل شرف الدين، ابن خلدون، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون عدد الطبعة، ،2007ص: 5625

[16]. اجي حسين جودة، المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، ط ،1دار الهادي،بيروت لبنان، 2006.ص:5

[17]. دوركايم إيميل، الأشكال الأولية للحياة الدينية المنظومة الطوطمية في أستراليا، تر: رندة بعث، ط ،1، المركز العربي لأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2005، ص: 15

[18]. عبد الرحمن فضليّ، "السوسيولوجيا الكلاسيكية والظاهرة الدينية، نموذج اميل دوركايم وماكس فيبر"، مجلة اوراق نماء، الكويت، عدد: ،2011 ،136ص:9

[19]. عبد الغني منديب، "الأنثروبولوجيا التأويلية والإسلام بالمغرب مقارنة بين غيرتز وإيكلمان"، مجلة رباط الكتب، الرباط، عدد:2012 ،33ص:24

[20] . Isabelle Buatois ; ibid, p. 47

[21]. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (219/5).

[22].مقدمة ابن خلدون، 476

[23]. محمد العبدة، طارق عبد الحليم، الصوفية، نشأتها وتطورها، دار الأرقم ، الكويت، 1406هـ. (ص: 22-27).

[24]. محمد العبدة ، طارق عبد الحليم، الصوفية، (ص: 29).